

المضمون الفلسفي لقصة آدم في ضوء مناهج المفسرين

أ.د. زعراط محمد

جامعة وهران

لقد مثلت النماذج القصصية في القرآن الكريم غيضا من فيض لتيان مدى تأثيرها في الفكر الإسلامي عامة، وصلتها بالنص القرآني خاصة وهي ظاهرة عامة في القصص القرآني، بدت بصورة واضحة عند المفسرين وخاصة أولئك الذين عنوا بقصص القرآن وشكلوا اتجاهها في التفسير من هؤلاء "رشيد رضا" الذي من أقواله : ثالثها تتبع الأثر القصصي، وقد سلك هذا المسلك أقوام زادوا في القصص القرآني ما شاءوا من كتب التاريخ والإسرائيليات ولم يعتمدوا التوراة والإنجيل، والكتب عند أهل الكتاب وغيرهم، بل أخذوا جميع ما سمعوا عنهم من غير تفريق بين غث وسمين، ولا تنقيح لما يخالف الشرع ولا يطابق العقل".¹ وللإجابة عن سر وجود تلك الظاهرة في تفسير القصص القرآني ذهب "البيروني" إلى أن كل ما يتصل ببدء الخليفة مختلط بتزويرات وأساطير، بسبب أهوة السحيفة في امتداد

الزمان²، أما "ابن خلدون" فقد علل تعليقات مختلفة منها، أن جميع المتقدمين قد أجمعوا على أن ما تقولوه يشتمل على الغث والسمين، والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب، وإنما غلبت عليهم الأمية، فإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تشاق إليه النفوس في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، وهم أهل التوراة من اليهود قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصاري، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ أهل بادية مثلهم. ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين اعتنقوا اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يختاطون لها مثل: أخبار بدء الخليقة، وهؤلاء مذل "كعب الأحبار"

و "وهب بن منبه" وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتثلت التفاسير من المنقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فتجرى في الصحة⁰³ ففي ضوء النصوص الواردة في القصص القرآني، يمكن تعليل ذلك بالاستنتاج الآتي:

أولاً: أن الأخبار الأولى حول بدء الخليفة قد شابتها الأكاذيب بسبب امتداد الزمن، وطول المدة على الأحداث وقد انتشرت تلك الأخبار فيما بعد بين الملل النحل.

ثانياً: اختلاط المسلمين بأهل الكتاب خاصة من أسلم منهم مثل "كعب الأحبار"، و "وهب بن منبه" و "عبد الله بن سلام" فاتخذوا من هؤلاء مصدراً للإطلاع على أنباء الأمم الغابرة وقد دفعهم إلى ذلك حب الإستطلاع إلى التعرف على تلك الأخبار دون إمعان نظر، فأخذوا الغث والسمين، المقبول والمردود الأصيل والدخيل.

ثالثاً: يضاف إلى ما سبق عامل مهم أدى إلى اتساع دائرة الأكاذيب والأساطير الذي كان له دوره في الروايات الدخيلة، وخير شاهد ما جاء في النماذج السابقة للدخيل في قصة -آدم عليه السلام- .

لقد شكلت قصة "آدم" تقريراً عن بدء الإنسان الأول وما كان للبشرية أن تطلع على ذلك لولا الإسلام ودستوره القرآن الكريم: ففيه قصص المولى تعالى قصصى الأولين من أنباء ومرسلين: ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾⁰⁴.

وقوله تعالى: ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾⁰⁵. وقوله تعالى: ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ﴾⁰⁶. وقوله تعالى: ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً

بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل، فلا تمار فيهم إلا مراءا ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا⁰⁷. فما أخبرنا به القرآن من أنباء القرون الماضية سواء في قصص الأنبياء والمرسلين أو في قصة الإنسان الأول -آدم عليه السلام- إنما هو من أنباء الغيب.

من الأفكار الأساسية التي شملها المضمون الفلسفي حول الإنسان عند "إقبال" حرية الاختيار، وهو أهم أفكاره وظهر ذلك واضحا في قوله: "وهكذا نرى أن قصة آدم وهود كما جاءت في القرآن لا صلة لها بظهور الإنسان الأول على هذا الكوكب. وإنما هي بيان ارتقاء الإنسان من بداية الشهوة الغريزية إلى الشعور بأن له نفسا حرة قادرة على الشك والعصيان، وليس يعني الهبوط أي فساد أخلاقي، بل هو انتقال من الشعور البسيط إلى ظهور أول بارقة من بوارق الشعور بالنفس وهو نوع من اليقظة من حلم الطبيعة، أحدثتها خفقة من الشعور بأن الإنسان صلة عالية شخصية بوجوده.

هذا إلى أن القرآن لا يعتبر الأرض ساحة للعذاب سجت فيه إنسانية شريرة العنصر، بسبب ارتكابها خطيئة أصلية، فالمعصية الأولى للإنسان كانت أول فعل له تتمثل فيه حرية الاختيار ولهذا تاب الله على "آدم" كما جاء في القرآن.⁰⁸

وجملة القول إن المفهوم الفلسفي لقصة الإنسان عند "إقبال" يستند إلى التحليل الأسطوري على حد تعبيره. "البواعث الإنسانية المختلفة" وهو يتفق إلى حد ما مع فكرة "محمد عبده" في وصف أسلوب القصة بالتمثيل على رأي الخلف، إلا أن الأسلوب الذي وصفت به القصة عند "إقبال" رمزي. ولعل ثقافته الشرقية، ونزعة الفلسفية غلبتا عليه فراح يؤول القصة ويشبهها بالقصص الأدبي الشائع الذي يشمل على الأساطير والخرافات والأوهام والخيال. فما ذهب إليه "إقبال" في فهمه للقصة يثير قضية تعد من أخطر القضايا في الفكر الإسلامي وذلك بزعمه أن القرآن لا يصح أن يكون مصدرا للحقائق التاريخية الأمر الذي يسوغ القول باشتمال القرآن على الأساطير، مادامت تحقق هدفه من

العظة والاعتبار ويتفق كل من " محمد عبده " و "إقبال" في كون التاريخ ليس هدفا للقرآن ولكن التعليل يختلف، ففي الوقت الذي يرى " محمد عبده " أن القرآن يهدف إلى العظة والإعبار في قوله: "إن القصة لم ترد في القرآن كما وردت في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب حكاية تاريخية، وإنما جاء القرآن بموضع العبرة، في خلق آدم، واستعداد الكون لأن يكتمل به وكونه قد أعطى استعدادا في العلم والعمل لانهاية لهما ليظهر حكم الله ويقيم سنته في الأرض فيكون خليفة، وكونه لا يسلم من داعية الشر والتأثر بالوسوسة التي تحمل على المعصية، وكون التاريخ غير مقصود له، لأن مسائله من حيث هي تاريخ ليست من مهمات الدين من حيث هو دين، وإنما ينظر الدين من التاريخ إلى وجه العبرة، دون غيره، لم يبين الزمان، والمكان كما بينا في سفر التكوين وكان يبينهما سببا لرفض الباحثين في الكون وتاريخ الخليقة لدين النصرانية لأن العلم المبني على الاختيار والمشاهدة، أظهر خطأ ما جاء من التاريخ في التوراة، ووجدت للإنسان آثار في الأرض تدل على أنه أقدم مما حددته التوراة في تاريخ تكوينه، فقام فريق من أهل الكتاب يركب التعاسيف في التأويل وفريق يكفر بالكتاب والتنزيل.⁹

أما منهج " إقبال " في تحديد موقف القرآن من الحادثة التاريخية تقويم سلوك الإنسان وبسط سيادته على قوى الطبيعة لا هي بالمتفائلة ولا هي بالمتشائمة ، بل هي تحسن الظن بالعالم، فتسلم بعالم ينمو ويزداد، ويحركها الأمل في انتصار الإنسان آخر الأمر على الشر، على أننا نجد السبيل لفهم معضلتنا هذه فهم أوفى في القصة التي تسمى قصة هبوط الإنسان.¹⁰

ويذهب "إقبال" في تحديد منهج القرآن قائلا: "وطريقة القرآن في تحويل القصص تحويرا جزئيا أو كليا ليعتد معان جديدة يلائم بينها وبين روح التقدم في الزمن، أمر له خطره، ولكن دراسة الإسلام من المسلمين وغير المسلمين على السواء، كادوا يهملونه على الدوام، وهدف القرآن من إبراز هذه القصص فلما يكون العرض التاريخي، بل يكاد دائما يهدف إلى ان يجعل لها مغزى عاما او

مضمونا فلسفيا.. ويحقق قصده هذا بحذف أسماء الأشخاص والأماكن التي من شأنها أن تحدد معنى القصة يصيغها بصيغة حادثة تاريخية معينة، وكذلك بحذف التفاصيل التي تبدو خاصة بنوع آخر من الشعور، فهذه الطريقة ليست غير مالوفة في عرض القصص، فهي شائعة في الأدب الذي لا يعالج الموضوعات الدينية فمن ذلك قصة فاوست¹¹ .. ومن هذا النص يتبين أن رأي " إقبال " محصور في النقاط التالية:

أ- أن المادة التي تكون القصص القرآني تقوم على ما هو شائع بين الناس من القصص والأساطير.

ب- تحوير القرآن لهذه القصص بتجربتها من الطابع التاريخي بحذف أسماء الأشخاص والأماكن حتى يجعل لها مضمونا فلسفيا.

ج- أن طريقة القرآن في عرض القصص تجري على المنهج المتبع في الأعمال الأدبية، وعلى أساس هذا المنهج يردف قائلا: "والقرآن يحتفظ في سردها بشيء من الرموز القديمة لكنه يحور القصة تحويرا ملموسا، ليجعل لها معنى جديدا، مختلفا عن معناها السابق، طريفا كل الطرافة"¹².

وفي ضوء ما ذهب إليه "إقبال" في تفسيره لقصة -آدم عليه السلام- يتضح منهجه في أمرين اثنين:

أولاً: الأساس الأسطوري الذي قامت عليه القصة: أن هبوط آدم من الجنة من حيث القصة موجود في آداب العالم القديم على صور مختلفة، إذ من المستحيل حقا أن تحدد مراحل نموها وأن ترسم في وضوح البواعث الإنسانية المختلفة التي لا بد أن تكون قد أثرت في تحديدها البطء ولكننا إذا قصرنا بحثنا على صورة القصة، كما جاءت عند القدماء فانه من المرجح أنها نشأت عن رغبة الإنسان البدائي في أن يفسر لنفسه تعاسته البالغة وسوء حالته في بيئة غير مواتية له، تفيض بالمرض وتوقه من كل ناحية في سعيه لاستبقاء حياته، ولما لم يكن

للإنسان أي سلطان على قوى الطبيعة فقد كان طبيعياً أن ينظر إلى الحياة نظرة متشائمة.

ثانياً: تحوير القرآن للقصة، ولتوضيح ذلك يقارن " إقبال " بين قصة " آدم " كما وردت في سفر التكوين وبينها القرآن. فالخلاف الظاهر بين رواية القرآن ورواية التوراة تشير إلى عرض القرآن إشارة لا تقبل الخطأ. فالقرآن يسقط من روايته إسقاطاً تاماً ذكر الحية وحكاية خلق حواء من ظلع من أظلاع آدم، وحذف حكاية الحية تجريد للقصة من طابعها الجنسي ومما توحى به أصلاً من النظر إلى الحياة نظرة متشائمة، وحذف حكاية الظلع يقصد به الإشارة إلى أن غرض القرآن من رواية القصة ليس السرد التاريخي كما هي الحال في كتاب العهد القديم الذي يعطينا أصلاً بالوصف للرجل والمرأة، تمهيد لبيان تاريخ، لإسرائيل ويزداد غرض القرآن تحقيقاً بحذف أسماء الأعلام مثل، "آدم" و"حواء" اللذين ورد ذكرهما في رواية التوراة واستبقاء القرآن للفظ "آدم" واستعماله له، إنما هو لدلالة على معنى أكثر مما هو للدلالة على اسم فرد معين من البشر واستعمال اللفظ على هذا الوجه لا يعوزه الدليل من القرآن، فالآية واضحة المعلم:

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾¹³ فرواية القرآن تقوم على أن " آدم " وزوجه أزلهما الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس فذاقوا من ثمار الشجرتين كلتيهما في حين أن رواية العهد القديم تقوم على أن الإنسان طرد من جنة عدن فور عصيانه الأول، وأن الله أقام في الجانب الشرقي ملائكة وسيفاً من لهب يتحرك من جميع الجهات لحراسة طريق شجرة الحياة.

يلعن العهد القديم الأرض لعصيان " آدم "، أما القرآن فيجعل الأرض مستقراً ومتاعاً للإنسان¹⁴ ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون﴾¹⁵. وعلى أساس الفهم الأسطوري لقصة " آدم " في القرآن عند " إقبال " سار أيضاً " محمد أحمد خلف الله " في الاتجاه نفسه.

وحينما يقرر "أحمد خلف الله" أن في القرآن أساطير، فإن ذلك مرده إلى أقوال "الإمام الرازي" في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله﴾¹⁶، "أنهم كلما سمعوا شيئا من القصص، قالوا ليس في هذا الكتاب إلا أساطير الأولين ولم يعرفوا أن المقصود منها ليس الحكاية نفسها، بل أمور أخرى مغايرة لها"¹⁷ ثم يعلق على قول "الرازي" بما نصه: فنحن نلاحظ أن: الرازي يفرق بين شيئين هيكل القصة وما في القصة من توجيهات دينية نحو قواعد الدعوة الإسلامية ومبادئ الدين الحنيف، "فالرازي" يلاحظ أن الأمر الأول وهو هيكل القصة أو جسم الحكاية هو الذي أدخل الشبهة على عقول المشركين، حين ظنوا أنه المقصود أمور أخرى مغايرة لهذا الجسم من القصة"¹⁸.

والحقيقة أن مسألة مثل، الأساطير لم ترد أبدا في بحوث علماء الإسلام في زمن "الرازي" أو قبله، وأن القرآن عندهم حق وصدق لا مجال للخوض فيه، فالذي يقصده "الرازي" في النص السابق، هو أن القرآن يستعمل قصص الأولين لهدف العبرة، كما أنه لا ينفي الشك في أن "محمد أحمد خلف الله" أراد أن يحمل "الرازي" ما لم يجلب بخاطره، وكذلك فعل مع "محمد عبده" في نصه الذي قال فيه: "ولا بد أن يأتي في العبارة والسياق أو أسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن، واستهجان القبيح، وقد يأتي في الحكاية بالتعبيرات المستعملة عند المخاطبين أو المحكي عنهم وإن لم تكن صحيحة في نفسها نحو قوله تعالى: "كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس"¹⁹ وقوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾²⁰.

وهذا الأسلوب مألوف، فإننا نرى كثيرا من كتاب العربية وكتاب الإفرنج يذكرون آلهة الخير والشر في خطبهم ومقالاتهم لا سيما في سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد لأحد منهم شيء من تلك الخرافات الوثنية²¹ ولا يكتفي "أحمد خلف الله" بالتفسيرات التي قدمها "محمد عبده" فيذهب إلى حد القول: "إذ الواضح أن الإمام يميز أن يكون في التعبير القرآني قصصى أثر

للأساطير، إجراء للعبارات على تلك الظواهر الخرافية، لأنه يحكي من عقائدهم الحق والباطل، كما يميز أن يكون القرآن قد أجرى أساليبه، كما هو شائع عن الأدباء، فجعل الخرافات الوثنية أداة للتعبيرات البلاغية.²²

وبكل حال، فإن علماء الإسلام لا يقرن بوجود الأساطير في القرآن فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، وكل ما جاء في القصص القرآني، إنما جاء لغرض العبرة ليتبصر الخلق بسنن الأمم البائدة، لقد اشتمل القرآن على موضوعات مختلفة، مست العقيدة والعبادات في قوله تعالى "لقد كفر الذين قالوا: "إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد، وإن لم يتبهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم"²³. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.²⁴

فقد حكى القرآن عن النصارى إيمانهم بعقيدة التثليث، وهي عقيدة باطلة رغم أنها كانت حقيقة وواقعا في الفلسفات التي سوغوا بها هذه العقيدة فأبطلها القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾.²⁵ كما حكى القرآن عن عادات بعض العرب الشركية وهو سلوك مضر بالقيم الإنسانية، فكان موقف القرآن منها الرفض في قوله تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.²⁶ أما دليل أحمد خلف الله بكون القرآن يشتمل على أساطير فهو اعتماده على الآيات القرآنية التي ذكرت ذلك على لسان المشركين مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ، وَفِي أُذُنِهِمْ وَقُرْآنًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.²⁷ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أُولَٰئِكَ بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾.²⁸ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.²⁹ وقوله: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ

الأولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين³⁰. وقوله تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيمًا³¹. وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وأباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا نحن وأباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين³². وقوله تعالى: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعداني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين³³. وقال تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين³⁴. فلعل أحمد خلف الله بنى رأيه على استنتاج متسرع وبأخذه بما ورد مكررا عن تفنيد الأقوام واعتدادهم بالأسطورة والأساطير ذلك أن القرآن واطر الإشارة إلى الأسطورة ولكن فعل ذلك ليرفض القول ويقرر أن كثيرا من الإعتقادات البعيدة عن اطار التوحيد إنما هي من جنس اللغو الفعلي.

إن القرآن يركز على الوحي الذي ينقل تعاليم السماء بواسطة الأنبياء والرسل وأن أي تردد من الإنسان إزاء اليقينيات الغيبية التي يطرحها القرآن إنما هو رفض للقاعدة الأساسية التي يقوم بدونها الإيمان، ولذلك نحن نلتقي في أول مقطع من القرآن بهذه البديهة، قال تعالى: ﴿ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين³⁵.

ومما لا شك فيه أن البحوث الأنثروبولوجية تؤكد أن الأسطورة ضرب من العقلنة والتفكير البين، الأمر الذي يبين لنا أن صلة كل من المجتمعين المكّي والمدني بالأسطورة انصياحية لا تحمل فكرا تنويريا في حين كانت في المجتمع المدني ذات محمول فكري وثقافي ومعرفي ضمن محمولات كتابهم التوراة.

وفي ضوء ذلك ذهب "ابن كثير" إلى حد القول: "يقول تعالى - لنبية صلى الله عليه وسلم - ، هذه القصة مشيرا إلى قصة "نوح" عليه السلام، وأمثالها

من أنباء الغيب يعني: من أخبار الغيوب السالفة نوحها إليك على وجهها كأنك شاهدها " ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا" أي لم يكن عندك ولا عند أحد من قومك علم بها حتى يقول من كذبك إنك تعلمتها منه، بل أخبرك الله بها مطابقة لما كان عليه الأمر الصحيح كما تشهد به كتب الأنبياء قبلك فاصبر³⁶ وهذا تفسيره للآية الثانية.

أما تفسيره للآية الثالثة فيقول: " هذا إشارة إلى نبأ يوسف، وإخوته وأمثاله يا محمد من أخبار الغيوب السابقة توجيه إليك ونعلمك به يا محمد مما فيه من العبرة لك والإعاض لمن خلقك"³⁷.

وقد دلت نصوص القرآن على أن بدء الخلق من الأمور الغيبية ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾³⁸

ولما كان القصص القرآني من أنباء الغيب بما فيه قصة آدم تعين اتباع الحقائق الآتية:

أولاً: التمسك بالنص القرآني والسنة النبوية ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾³⁹. وقول النبي صلى الله عليه وسلم " تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا. كتاب الله وسنتي "⁴⁰.

ثانياً: عدم الأخذ بالروايات الدخيلة على الصحيح من السنة النبوية، لأنه اعتمد في أخذها على أهل الكتاب، ممن كانوا على اطلاع واسع بأخبار الأولين، إذ حرفوا الحقائق الواردة في الكتب المقدسة وخاصة فيما أنزل الله على "موسى" و "عيسى" عليهما السلام وذلك في كثير من الآيات كما في قوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم

ليكتُمون الحق وهم يعلمون⁴¹. وقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل، وتكتُمون الحق وأنتم تعلمون⁴². وقوله تعالى: ﴿إن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون⁴³. وقوله تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلام عن مواضعه⁴⁴.

هوامش :

- (1) المنار: رشيد رضا ومحمد عبده مصر 1932 ج 1 ص 81
- (2) ينظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية: البيروني: ليزنج 1932 ص 14
- (3) المقدمة: ابن خلدون دار الباز مكة المكرمة ط 1938 ص 751
- (4) سورة آل عمران: آية 44
- (5) سورة هود آية 49
- (6) سورة يوسف آية 102
- (7) سورة الكهف آية 22
- (8) تجديد التفكير الديني في الإسلام محمد إقبال مصر 1955 ص 99
- (9) المنار: رشيد رضا ج 1 ص 279-280
- (10) المرجع السابق ص 96
- (11) المرجع نفسه ص 96
- (12) المرجع نفسه ص 96
- (13) سورة الأعراف: آية 11
- (14) تجديد التفكير الديني: محمد إقبال ص 97-98
- (15) سورة الأعراف: آية 10
- (16) سورة يونس آية 39
- (17) مفاتيح الغيب الفخر الرازي مصر 1932 ج 4 ص 951
- (18) الفن القصصي في القرآن ص 170
- (19) سورة البقرة آية 275
- (20) سورة الكهف آية 90
- (21) المنار: ج 1 ص 399

-
- (22) المرجع السابق ص 173
(23) سورة المائدة آية 73
(24) سورة النحل آية 58-59
(25) سورة المائدة آية 73
(26) سورة النحل آية 58
(27) سورة الأنعام آية 25
(28) سورة الأنفال آية 31-32
(29) سورة النحل آية 24
(30) سورة المؤمنون آية 81
(31) سورة الفرقان آية 5-6
(32) سورة النحل آية 67-68
(33) سورة الأحقاف آية 17
(34) سورة القلم آية 10-15
(35) سورة البقرة : آية 01
(36) المتارج 2 ص 449
(37) المرجع نفسه ج 2 ص 449
(38) سورة الكهف آية 51
(39) سورة النساء آية 39
(40) الجامع الصغير: السيوطي حرف التاء رقم 3282 ط أولى 1938
(41) سورة البقرة آية 146
(42) سورة آل عمران آية 71
(43) نفسها آية 78
(44) سورة النساء آية 46